مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد 4، (السداسي الثاني 2022م)، ص. 761 – 774

عدد خاص بالملتقى الدولي

(العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري)

العلوم الإسلامية ودورها في البناء الحضاري للأمة: علم الكلام عند سعيد فودة أنموذجا

Islamic sciences and their role in the civilizational construction of the nation: Theology of Said Fouda as a model

ياسين لخضربن ناصر[1*]، محمد مهدي لخضربن ناصر[2]

[1] جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر، مخبر الدراسات الشرعية، (الجزائر)
yacine.lakhdarbennaceur@univ-tlemcen.dz

[2] جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-، مخبر المرجعيات الفلسفية والفنية للتفكير البلاغي والنقدي في الجزائر.
Bahtilmi@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2022/05/04 تاريخ القبول: 2022/07/02 تاريخ النشر: 2022/11/30

ملخص:

يعدّ علم الكلام من أهم العلوم الدينية التي اشتغل بها العلماء قديما، وذلك لدوره في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة بالأدلة اليقينة، لكنه اليوم في عصرنا الحالي يواجه حملة تشكيكية تدعوا إلى تجاوزه بدعوى عدم مسايرته لقضايا العصر الحديث، لكن هناك من العلماء من وقف أمام هذه الدعوات المجحفة في حق علم الكلام وبيّن زيفها وبطلانها.

ومن هؤلاء العلماء: الأستاذ سعيد فودة الذي أظهر هشاشة هذه الأقوال وعدم استنادها على أدلة قوية، وبيّن أن حاجتنا لعلم الكلام لا تنتهي، وذلك لأن وظيفته هي الردّ على الشبهات والتشكيكات التي تطال العقائد الإيمانية في كل زمان ومكان.

الكلمات المفتاحية: سعيد فودة؛ علم الكلام؛ الشبهات؛ العصر الحديث؛ الدفاع.

.

[*] المؤلف المرسل

Abstract:

Theology is considered one of the most important religious sciences, because of its role in defending religious beliefs, but there are those who believe that we do not need this science today. Many scholars have responded to this saying ،Among them was Professor Said Fouda, the professor who pointed out that we still need theology.

Keywords: Saeed Fouda; theology; suspicions; The modern era; Defense.

1. مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما كثيرا إلى يوم الدين، وبعد:

بغية النهوض الحضاري بالأمة الإسلامية، وبناء وتكوين الشخصية الإسلامية، حرص علماء أهل السنة قديما على تحقيق مسائل علم الكلام دقيقه وجليله، أصوله وفروعه، ذلك أنهم أدركوا أهميته ووقفوا على حقيقته ومنزلته، وهو من أسباب القوة والحضارة والتمكين في الأرض.

ومتى ما حكّم الإنسان عقله يرى أنّ علم الكلام المتمثل في الأصول الإيمانية يشكّل نظاما متكاملاً للحياة البشرية بمختلف أطوارها ومراحلها، ويرسي معالم الطريق لكلِّ جوانبها، ويتناسق مع الفطرة الإنسانية، كما يضمن تحقق حاجات المسلم الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن ودقيق، وبما يضمن كرامته وشخصيته.

فهذا النظام المتكامل يرشد الإنسان ويساعده على التعمير والابتكار والإنتاج، ومن جانب آخر فإن الإنسان المسلم لا يحتاج إلى إعمال عقله في عالم الغيب، لذلك يوجه كل عقله وجهوده للتعمير المادي، ولأجل هذا عقدنا هذا البحث الذي تناول العلوم الإسلامية ودورها في البناء الحضاري للأمة: علم الكلام عند سعيد فودة أنموذجا.

ولرصد دور علم الكلام عند سعيد فودة و تبيان مدى مساهمته في البناء الحضاري والمعرفي للأمة سنحاول الإجابة عن الإشكاليات الآتية:

ماهو علم الكلام عند سعيد فودة؟ وماهو الدور المنوط به؟ وكيف ساهم علم الكلام قديما في الإرتقاء الحضاري بالأمة؟ ولماذا تراجع دور علم الكلام حديثا؟ وماهي سبل تفعيله اليوم للنهوض بالأمة الإسلامية والدفاع عن ثوابتها وقيمها؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذه الورقة.

2. لمحة تعريفية حول سعيد فودة وعلم الكلام:

2-1 التعريف بسعيد فودة:

يعتبر الأستاذ سعيد فودة من أكبر المتخصصين في علم أصول الدين في العصر الحديث، وله دراسات كثيرة في هذا المجال، ونحن فيما يلي سنعرف بسيرته الذاتية، وحياته العلمية، وأبرز مؤلفاته وسيكون ذلك كالآتي:[1]

- **اسمه و نشأته:**

سعيد عبد اللطيف فودة من مواليد مدينة الكرامة ولد سنة 1967م، وأصل عائلته من مدينة يافا الفلسطينية من قرية بيت دجن، هاجر هو أهله منها بعد الاحتلال الإسرائيلي لبلده، واستقروا في الأردن.

- **حياته العلمية:**

بدأ اهتمام الشيخ سعيد فودة بتحصيل العلم النافع العلم الشرعي منذ نعومة أظفاره يقول سعيد فودة متحدثا عن نفسه: "بدأت الاهتمام بالعلم منذ صغري بتوفيق الله تعالى"[2]، وقد درس العلوم الشرعية على عدة شيوخ وعلماء من أبرزهم:

- الشيخ حسين الزهيري (رحمه الله تعالى): أخذ عنه بعض الفقه على مذهب الإمام الشافعي، وقرأ عليه معظم القرآن وأتمه على يد ابنه، كما استفاد منه العديد من المسائل الفقهية والنحو.

- الشيخ سعيد العنبتاوي (رحمه الله تعالى): وهو مقرئ وعالم بالقراءات، حفظ عنده سعيد فودة منظومة تحفة الأطفال ثم الجزرية، وقرأ عليه القرآن وسمعه مرارا وتكرار بقراءة تلامذته، ثم الخريدة البهية وجوهرة التوحيد، ولم يقم الشيخ العنتباوي بتدريس علم التوحيد لغيره آنذاك، وذلك لما رأى من حرصه عليه واهتمامه به، وقد أحضر له الشيخ من مصر شرح الدردير على الخريدة، وطلب منه أن يقوم باختصارها مختصرا يفيد طلاب هذا العلم ويكون موجزا، فقام الأستاذ سعيد فودة بذلك بفضل الله تعالى ثم عرضه على شيخه، وطلب منه بعد ذلك أن يقوم بتدريسها لطلاب العلم.

---

[1] منظم منتدى الرياحين، أجوبة الشيخ سعيد فودة على أسئلة طلاب منتدى الرياحين، ص05-11.

[2] المصدر نفسه، ص06.

- الشيخ أحمد الجمال: كان شيخه في الفقه والتصوف، وله مواقف تشهد له عند الله تعالى لتثبيت مذهب أهل السنة ضد من انحرف عنها في الأردن وفي غيرها، وقد درس عنده حوالي ثلاثة أرباع كتاب الاختيار للموصلي على المذهب الحنفي.

- الشيخ نوح القضاة: مفتي الديار الأردنية، حضر عنده بعض شرحه على المنهاج للنووي.

- الشيخ إبراهيم خليفة: وهو المحقق المدقق في علوم التفسير والأصول والمنطق والبلاغة والنحو، وقد أجازه الشيخ في مختلف العلوم كعلم التفسير ودقائقه وشرح الحديث وعلم التوحيد وكتبه المشهورة، وعلم الأصول والمنطق والبلاغة، وغيرها من العلوم الراسخة، وقال إنه لم يُجِز أحدا قبلي مثلها.

- **موقفه من أهل السنة وأصحاب المذاهب الفقهية الأربعة:**

يصرّح الشيخ بموقفه منهم، فيقول: "ونعتقد أن مذهب أهل السنة ذو ثلاثة أطراف أساسية: الأول والأهم علم التوحيد، ويمثله علماء الأشاعرة والماتريدية، ثم علم الفقه ويمثله علماء المذاهب الأربعة المعتبرة عند أهل الحق: المذهب الحنفي، والمذهب المالكي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي"[1].

- **موقفه من التصوف:**

يتبنى الشيخ سعيد فودة التصوف السنّي الذي يمثله الإمام الجنيد والقشيري، ومن سلك مسلكهم ومشى على طريقتهم،" ونعتقد...التصوف ويمثله علماء الصوفية المقتدى بهم كالإمام الجنيد والقشيري ونحوهما ممن مشى على الطريقة المعتبرة. والتصوفُ عملٌ بعِلمِ التوحيد والفقه، وعلمٌ بما يجده العامل بهذا العلم... ولا يَنْتُجُ بالتصوف عقيدةٌ خاصة مخالفة ولا مقابلة لما وضحه علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية، والتصوف يزيد من كمالات الإنسان العامل به بلا ريب ولا شك"[2].

- **مؤلفاته:** أثرى الأستاذ سعيد فودة المكتبة الإسلامية بمؤلفات في علوم شتى كعلم الكلام، وعلم المنطق وأصول الفقه، وسنورد فيما يلي أبرز آثاره العلمية:[3]

[1] منظم منتدى الرياحين، أجوبة الشيخ سعيد فودة على أسئلة طلاب منتدى الرياحين، ص11.

[2] المصدر نفسه، ص11.

[3] منظم منتدى الرياحين، أجوبة الشيخ سعيد فودة على أسئلة طلاب منتدى الرياحين، ص09-10.

- ✓ الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية.
- ✓ الكاشف الصغير عن عقائد ابن رشد الحفيد.
- ✓ تدعيم المنطق، وهو يناقش فيه المعارضين للمنطق من العلماء المتقدمين، وألفه توطئة لمناقشة معارضي المنطق من المعاصرين.
- ✓ الميسر في شرح السلم المنورق.
- ✓ بحوث في علم الكلام.
- ✓ تهذيب شرح السنوسية (أم البراهين).
- ✓ مقالات نقدية في الحداثة والعلمانية.
- ✓ موقف الإمام الغزالي من علم الكلام.
- ✓ شرح كتاب الاقتصاد في الاعتقاد للإمام الغزالي.
- ✓ شرح صغرى الصغرى للسنوسي، في علم التوحيد.
- ✓ مختصر شرح الخريدة البهية، في علم التوحيد.
- ✓ تحقيق كتاب مصباح الأرواح في علم أصول الدين للإمام البيضاوي.
- ✓ نقض الرسالة التدمرية، وهي رد على رسالة في العقيدة من تأليف ابن تيمية.
- ✓ تعليقات على كتاب المحصول في علم الأصول لابن عربي المالكي في علم الأصول.
- ✓ الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية.
- ✓ رسالة الفرق العظيم بين التنزيه والتجسيم.
- ✓ رسالة حسن المحاججة في بيان أن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

2.2 ماهية علم الكلام:

يعدّ علم الكلام من أهم العلوم الدينية التي اشتغل بها العلماء قديما وحديثا، وذلك لدوره في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة والمنافحة عنها بالأدلة اليقينة القطعية، لهذا سنتناول في هذا الجزء حقيقة علم الكلام من حيثيات أربع: من حيث مفهومه، موضوعه، غايته، مسائله.

1.2.2 مفهوم علم الكلام: عرّف علم الكلام أو علم أصول الدين بتعريفات عدة وألفاظ مختلفة، لكنها كلها تصبّ في قالب واحد، وتشير إلى حقيقة واحدة، وسنذكر منها ما يلي:

علم الكلام هو: "علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير، بإيراد الحجج ورد الشبه"[1]، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، والدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ[2]، وعرفه التفتازاني بقوله: " الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية "[3].

وعليه يؤخذ من تعريف العلماء عدّة أمور من أبرزها:[4]

- أن هذا العلم يبحث في أصول الدين من حيث بيانها وإثباتها.
- هذا العلم من أهمّ العلوم الدينية وأشرفها[5]، يقول الأصفهاني: "إن قواعد الشرع ومعالم الدين أصلها من الكتاب والسنة والاستدلال بما يتوقف على إثبات أن الله متكلم مرسل للرسل، موحٍ إليهم، وهذه الأمور إنما تعلم من الكلام، فيكون مبنى قواعد الشرع وأساسها، ورئيس معالم الدين ورأسها".

ومما سبق نخلص أن علم الكلام ينحصر دوره في أمرين:

أولا: إثبات العقائد الإيمانية بالأدلة اليقينية القطعية.

ثانيا: رد الشبه وإبطالها ضد المبتدعة والمنحرفين عن منهج أهل السنة.

2.2.2 موضوع علم الكلام: أما موضوع علم التوحيد فهو: **المعلوم من حيث يتعلّق به إثبات العقائد الدينية**، والمعلوم يشمل العقليّات والتجريبيّات والمتواترات وغيرها مما يفيد العلم والقطع، ومن ثمّ لايمنع أن يستخدم الإنسان أيّ صنف من العلوم لإثبات عقائد الدين والبرهنة على أصوله.[6]

3.2.2 غاية علم الكلام:

وغاية هذا العلم كما يذكر سعيد فودة هي: "أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقنا محكما لا تزلزله شبه المبطلين"[7]، وذلك لأن الأدلة قامت على أن سعادة الإنسان لا تتم إلا على أساس هذا الدين.[8]

---

[1] التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، 29/01.

[2] عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، 07/01.

[3] سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، 163/01.

[4] سعد فودة، موقف ابن رشد الفلسفي من علم الكلام، ص66-67.

[5] سعد فودة، الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية، 75/01.

[6] سعيد فودة، بحوث في علم الكلام، ص18-19.

[7] المصدر نفسه، ص22.

[8] المصدر نفسه، ص22.

فكثير من الناس في هذه الأيام لا يثقون بحقيقة الدين ثقة تامة، بل هم منتسبون إليه مسايرة لغيرهم، ومما يدلّ على ذلك حقيقة أحوالهم، لا لأنهم قد تحقق لهم ما يضاده، بل لأنهم لا يعلمون شيئا عنه، وكثير من الناس لو كانوا يعيشون في مجتمعات أخرى كافرة أو نافية للأديان، لسايروا هذه الطريقة ونفوا الأديان أيضا واعتقدوا عقائد هذه المجتمعات.[1]

4.2.2 مسائل علم الكلام: ومسائل علم الكلام هي: القضايا النظرية، الشرعيّة، الاعتقاديّة[2]

3. علم الكلام عند سعيد فودة والتحديات المعاصرة:

إن علم الكلام اليوم يمرّ بمرحلة مختلفة تماما عن العصر الذي نشأ فيه، فقد ظهر في عصرنا الحديث بعض المشككين والمنحرفين عن جادّة أهل السنة من طعنوا في علم الكلام ودعوا إلى تجاوزه بدعوى عدم مسايرته لقضايا العصر الحديث منهجا وموضوعا، لكن الأستاذ سعيد فودة وقف أمام هذه الدعوات المجحفة في حق علم الكلام وبيّن زيفها وبطلانها، كما حدّد معالم التجديد التي يمكن أن تمسّ علم الكلام، وهذا ما سنبينه في العناصر الآتية.

1.3 موقف سعيد فودة من علم الكلام في العصر الحديث:

يرى سعيد فودة أن حاجتنا لعلم الكلام في كل العصور والأزمنة لا تنتهي، وذلك لأن وظيفته هي الردّ على الشبهات والتشكيكات التي يوردها الملحدون ومنكرو الأديان والحداثيون المنحرفون عن النهج القويم، فلا يستطيع أن يدعي أي إنسان أن الفطرة تكفي في كل ذلك، ولو كان الأمر كذلك لما تكاثرت الآيات في القرآن الكريم التي تحض الناس على الالتفات إلى دقيق صنع الله وإلى التفكر في السماوات والأرض، وإلى الإشارات البليغة في مناقشة الكفار واليهود والنصارى وغيرهم، فلا يستطيع أي إنسان أن ينكر وجه الحاجة إلى مثل هذا العلم الجليل.[3]

لهذا ردّ الأستاذ سعيد فودة حول الدعوات التي تدعو إلى إلغاء علم الكلام أو تجاوزه كونه يخالف صحيح المنقول، أو بدعوى عدم صلوحيته في العصر الحديث، وهذا ما سنتناوله فيما يلي:

---

[1] المصدر نفسه، ص22.

[2] المصدر نفسه، ص23.

[3] سعيد فودة، النقد والتقويم، ص19-20.

- **نقد دعوى بدعية علم الكلام:**

ويمثل هذه الدعوى الاتجاه السلفي(التيمية، الوهابية)، حيث يقولون ببدعية علم الكلام، لكونه مخالف لنهج القرآن والسنة في إثبات العقائد الإيمانية، وهذا القول في الحقيقة ينمّ عن جهل وعدم إدراك لماهية علم الكلام عند هذه الطائفة.

يقول سعيد فودة: "ومن المرفوض أن يقال إن العلم الذي يوصل إلى هذه الغايات النبيلة هو علم مرذول، بل من قال بهذا فهو لا يعي ما يقول، لأن العلم الذي يوصل إلى ما ذكرنا يجب أن يكون في أعلى مراتب العلوم، وهو كذلك في حقيقته عند كبار العلماء من أهل الحق، فلا تغتر بمن ينفرك عن هذا العلم يخيله إليك أنه من البدع؛ فهل الوصول إلى الخير من البدع، وهل من البدع التسلح بأسلحة نقاوم بها الكفر في النفس، وندرأ بها الكفر عن الغير، ونرد بها الكفر عن أن يدمر الخير والحق والدين العظيم !!! وكل من لديه أدنى معرفة بهذا العلم، يدرك فعلا كم هي فائدته حقا في طمأنينة التنفس، وانكشاف الحقيقة لديها، وفي إفحام الخصوم المشككين من أهل البدع والكفر، وبدراسة هذا العلم يتبين الإنسان فعلا أن الإسلام هو الدين الحق عن دليل وبينة، لا عن تقليد وتعصب أعمى"[1]

- **نقد دعوى أن علم الكلام كان سببا في تخلف المسلمين:**

زعم بعض المعاصرين أن علم الكلام هو أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تخلف المسلمين وتراجعهم عن ركب الحضارة المتطورة، ويمثل هذا الاتجاه بعض المعاصرين من أمثال المرزوقي الذين ذهبوا إلى التنقيص من علم الكلام ونسف أصوله.[2]

ومستندهم في ذلك موقف الإمام الغزالي أبي حامد حجة الإسلام من علم الكلام وقوله بأنه أحد أهم أسباب التخلف الحاصل للأمة، لكن التحقيق الذي لا ريب فيه أن الغزالي وقف موقفا من العلم، بحيث جعله كالدواء الذي لا يتناوله كل إنسان، أو كالطبيب الذي لا يحتاجه إلا المريض، ولذلك ذم اشتغال العوام بعلم الكلام.[3]

أيضا ادعوا أن علم الكلام كان سببا في اختلاف الأمة الإسلامية وتفرقها إلى طوائف وفرق إسلامية متناحرة، وأصحاب القول بتفعيل دوره اليوم(أي علم الكلام) للنهوض بركب الأمة الإسلامية كأنهم يريدون إحياء المذاهب والمسائل القديمة التي عفى عليها الزمن، يقول

[1] سعيد فودة، بحوث في علم الكلام، ص13.

[2] سعيد فودة، الكشف والبيان عن أغلاط أبي يعقوب المرزوقي في بعض قضايا الفكر الإسلامي، ص12.

[3] المصدر نفسه، ص12.

سعيد فودة: "ومما استغربت منه ما زعمه الدكتور(أي المرزوقي) من أن البحث في هذه المسائل لا يقصد منه إلا إحياء الحزازات الماضية !! يريد أن هذه المسائل قد ماتت منذ زمان في صدور الناس! ومن أخبرك أيها الباحث عن نهضة الأمة أن المسلمين قد نسوا هذه المذاهب؟ وهل تتصور أن تنسى هذه المذاهب التي عاشت بها الأمة لقرون عديدة بمجرد أن يكتب كاتب من هنا أو من هناك عبارات شوهاء غير مبنية على فهم ولا عقل كل هذه الأصول الراسخة في قلوب الناس؟ أقول ذلك وأنا أعرف أن من أصول تلك الأفكار الموجودة في قلوب المسلمين عامة أصولا غير صحيحة، ولكن من الأدلة الواضحة على ابتعاد الدكتور الفاضل عن معرفة واقع أمته التي يسعى كما يزعم إلى إحيائها وإنهاضها، تصوره أن تلك الأفكار قد ماتت" [1].

وخلاصة ما يريده الدكتور ومن سلك مسلكه أن منهج وعقلية المتكلمين في نظر أصحاب الفكر الحداثي اليوم هو منهج كلاسيكي قديم ذا طابع رجعي متخلف، مقارنة بالعقلية المعاصرة.

ويرد عليه سعيد فودة مستنكرا دعواه هذه بقوله:" ولا ندري ما هي العقلية التي يقيس بها المعاصرة، تلك التي يضعها في مقابل عقلية المتكلمين، فلم نر في هذا الزمان المعاصر من الأطياف المختلفة إلا عقلية الملحدين، والعلمانيين والحداثيين، والمتفلتين من الدين، هذه هي العقليات الشائعة في الزمان المعاصر. أم هل يريد بالعقلية الحديثة والمعاصرة عقلية الذين يعتقدون استحالة البرهان على أصول الدين"[2].

ويقول أيضا في موضع آخر: "إن أراد(أي المرزوقي) أيا من هذه العقليات والمناهج، فنحن لم نقل يوما بها، ولا نراها أصلا صالحة حتى ننكص عنها، وربما يريد أن الرأي العام في هذه الأزمنة صار يبتعد شيئا فشيئا عن الطريقة الكلامية التي يعتبرها سببا في تخلف الأمة، ولذلك فإنه يرى محاولة نشر تلك الأفكار والمناهج ولو كانت مناهج أهل السنة والجماعة، محاولة ترمي إلى إعادة التخلف والرجعية"[3].

[1] المصدر نفسه، ص15-16، ينظر أيضا: سعيد فودة، نظرات في كتاب: نحو إعادة بناء علوم الأمة، ص28.

[2] سعيد فودة، الكشف والبيان عن أغلاط أبي يعقوب المرزوقي في بعض قضايا الفكر الإسلامي، ص19.

[3] المصدر نفسه، ص19.

ثم يبين الأستاذ سعيد أن المفكرين المعاصرين اليوم لم ينجوا في شيء غير تشكيك الأمة بماضيها وتاريخها، ودحض ثقتها بنفسها أمام الحضارة الغربية، بالإضافة إلى أن المناهج الفكرية المعاصرة أو الحديثة الذي ينادي بها المرزوقي، لا تصلح لإقامة نهضة الأمة بناء على هذا الدين القويم، ولذلك فالسبيل الوحيد للنهوض بالأمة حتى تستردّ قوّتها وعزّتها ولكي تقف على قدميها من جديد ينبغي عليها الرجوع إلى تراثها الذي كان سببَ تمكينها في الماضي، فلعها تصحو من غفلتها و تصبح قادرة على النظر إلى الآخر على أساس متين بما لديها من قواعد ومناهج أقام عليه السابقون صروا عظيما عاليا من الحضارة والثقافة لم يبلغ أكثر المفكرين المعاصرين شأنا أن يحيطوا بأجزاء قليلة منها بعد، وهذا لا يستلزم عدم النظر إلى إنتاج الفكر المعاصر ولا الاستهانة به، ولا غض الطرف عنه.[1]

2.3 موقف سعيد فودة من التجديد في علم الكلام:

نادى العديد من العلماء المعاصرين إلى ضرورة التجديد في علم الكلام واتفقوا على ذلك، وقد تباينت مواقفهم واختلفت بخصوص المجالات التي يجب أن يطالها التجديد، فهناك من رأى أن التجديد يجب أن يشمل جميع المجالات، وهناك من قصره على بعض الجهات، ولهذا سنتناول أولا مواقف العلماء من هذه القضية، ثم نتبعه برأي الأستاذ سعيد فودة وموقفه منهم، وسيكون ذلك في عنصرين:

- **مواقف العلماء من التجديد في علم الكلام:**

اختلفت آراء العلماء حول التجديد في علم الكلام، هل التجديد يكون في كامل العلم، أم فقط في بعض أجزائه، يمكن أن نحصرها في مسلكين:[2]

الأول: التجديد في مناهجه، وإضافة ما يمكن إضافته.

الثاني: التجديد بإضافة مسائل جديدة فيه تشتد الحاجة إلى معالجتها وتقديم الحلول المناسبة لها، ولا يوجد علم لائق بمناقشتها أكثر من علم الكلام بملاحظة تعريفه السابق، ومن هذه المسائل:

- مسألة الحرية والإسلام على مستوى الأفعال وعلى مستوى التفكير.
- مسألة الإسلام والعدل، والديمقراطية والمساواة بين البشر.

[1] المصدر نفسه، ص20.

[2] سعيد فودة، موقف الإمام الغزالي من علم الكلام، ص44-46.

- مسألة حقوق الإنسان والعلاقة بين الدين والحقوق الطبيعية للإنسان، ومن أين يعتبر الشيء حقا للإنسان وبأي مفهوم يعتبر حقا له.
- القضايا المتعلقة بالمرأة وهل المطلوب المساواة أو العدالة، وعلى أي شيء تبنى العدالة.
- مناقشة كثير من المباحث الفلسفية والعلمية المعاصرة التي تثير إشكالات لا بد من معرفتها: كنظرية النسبية والزمان والمكان.
- البحث في العديد من النظريات الفلسفية التي ينتجها الغربيون.

وقد جرت عدة خطوات في هذا العصر للتجديد في علم الكلام، نذكر منها ما كتبه محمد إقبال، ووحيد الدين خان، في كتابه «الإسلام يتحدى»، ومن ذلك أيضا جهود مصطفى صبري الذي يعتبر كتابه «موقف العقل والعلم والدين من رب العالمين» من أعظم ما ألف في هذا العصر، وكذلك ما قدمه العلامة محمد باقر الصدر من بحوث، ومنها ما ألفه الطباطبائي، وغيرهم.[1]

- **التجديد في علم الكلام عند سعيد فودة:**

يرى سعيد فودة أن علم الكلام كأي علم آخر إنساني، لن يزال محتاجا إلى التطوير والتعديل والإضافات، وذلك لسبب بسيط واضح يرجع إلى موضوعه، فمسائل علم الكلام هي الشبه التي يثيرها المخالفون لهذا الدين، ومعلوم أن هذه الشبه قد تكون قديمة بثوب جديد، وقد تكون جديدة. وفي الحالتين يلزمنا كمتكلمين إعادة النظر في هذه الشبه وبيان فسادها، وإذا كانت جديدة فيلزمنا إعادة النظر في الأصول الكلية لاستنباط قواعد تكفي لدفع هذه الشبه والاعتراضات.[2]

أيضا يمكن أن يمكن أن يشمل التجديد قواعد العلم، وذلك بتنقيحها أو بإضافة وزيادة بعض القواعد والضوابط التي تلزمهم في هذا العصر بناء على تغير بعض الشبه والأفكار الناشئة فيه إن أمكن ذلك.[3]

[1] المصدر نفسه، ص46.

[2] سعيد فودة، موقف الإمام الغزالي من علم الكلام، ص46.

[3] المصدر نفسه، ص47.

ويخالف الأستاذ سعيد الاتجاه الذي يذهب إلى أن التجديد يجب أن يشمل جميع أجزاءه، يقول الأستاذ: " لا يجوز بحال من الأحوال أن يقول القائل باحتياجها إلى التجديد والإضافة إلى نسف أصولها الكلية القديمة التي اجتمع عليها علماء الأمة أو أن نجري عليه تعديلات جوهرية في الشكل والمضمون"[1]، ويقول في موضع آخر: "وأما التعديل عليه في الشكل والمضمون، فإن قصد بالمضمون تغيير جميع القواعد التي تم الاستدلال عليها وثبتت، فهو غلط محض، فالمحتاج إليه تنقيح القواعد والزيادة عليها إن أمكن ذلك مع غاية الحيطة والحذر" [2].

وبالتالي نجد أن الأستاذ سعيد فودة يرى أن التجديد في علم الكلام ينحصر في أمرين: 1-مسائله، نظرا لظهور مذاهب فكرية جديدة، 2-قواعده: وذلك بتنقيح بعض قواعد العلم، أو بإضافة أخرى جديدة ، وهذا دون المساس بالمنظومة المعرفية التي بناها المتكلمون قديما.

خاتمة:

الحمد لله على إنعامه وواسع فضله وامتنانه، وصلى الله وسلم على خير رسله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وفي ختام هذا البحث سأورد خلاصة موجزة تحوي أبرز النتائج المتوصل لها في هذا البحث، وهي كالتالي:

يعتبر الأستاذ سعيد فودة من أكبر المتخصصين في علم أصول الدين في العصر الحديث، وله دراسات كثيرة في هذا المجال من أبرزها:

- الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية.
- تدعيم المنطق.
- بحوث في علم الكلام.
- الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية.

يعدّ علم الكلام من أهم العلوم الدينية التي اشتغل بها العلماء قديما، وذلك لدوره في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة والمنافحة عنها بالأدلة اليقينة القطعية، لكنه اليوم يمرّ بمرحلة زمنية مختلفة تماما عن العصر الذي نشأ فيه، فقد ظهر في عصرنا

[1] المصدر نفسه، ص46-47.

[2] المصدر نفسه، ص47.

الحديث بعض الحداثيين والعلمانيين ممن شكّكوا في علم الكلام ودعوا إلى تجاوزه بدعوى عدم مسايرته لقضايا العصر الحديث منهجا وموضوعا، لكن الأستاذ سعيد فودة وقف أمام هذه الدعوات المجحفة في حق علم الكلام وبيّن زيفها وبطلانها.

يرى سعيد فودة أن حاجتنا لعلم الكلام في كل العصور والأزمنة لا تنتهي، وذلك لأن وظيفته هي الردّ على الشبهات والتشكيكات التي يوردها الملحدون ومنكرو الأديان والحداثيون المنحرفون عن النهج القويم، لهذا ردّ الأستاذ سعيد فودة حول الدعوات التي تدعو إلى إلغاء علم الكلام أو تجاوزه كونه يخالف صحيح المنقول، أو بدعوى عدم صلوحيته في العصر الحديث، وأنه كان أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تخلف المسلمين وتراجعهم عن ركب الحضارة المتطورة. لكونه ذا طابع كلاسيكي قديم متخلف، مقارنة بالعقلية المعاصرة.

بيّن الأستاذ سعيد أن المفكرين المعاصرين الذين حملوا لواء النهضة لم ينجوا في شيء غير تشكيك الأمة بماضيها وتاريخها، ودحض ثقتها بنفسها أمام الحضارة الغربية، بالإضافة إلى أن المناهج الفكرية المعاصرة أو الحديثة لاتصلح لإقامة نهضة الأمة لكونها تخالف أصول هذا الدين، ولذلك فالسبيل الوحيد للنهوض بالأمة حتى تستردّ هيبتها يتمثل في العودة والرجوع إلى تراثها الذي كان سببَ تمكينها في الماضي.

يرى سعيد فودة أن علم الكلام كأي علم آخر إنساني، لن يزال محتاجا إلى التطوير والتجديد والتعديل والإضافات، وذلك لسبب بسيط واضح يرجع إلى موضوعه، أيضا يمكن أن يشمل التجديد قواعد العلم، وذلك بتنقيحها أو بإضافة وزيادة بعض القواعد والضوابط التي يُحتاج إليها في هذا العصر بناء على تغير بعض الشبه والأفكار الناشئة فيه .

يقف الأستاذ سعيد موقف الرفض من الاتجاه الذي يرى أن التجديد يجب أن يشمل جميع أجزاءه شكلا ومضمونا، فهو يرى أن هذا غلط محض، فالمحتاج إليه تنقيح القواعد والزيادة عليها إن أمكن ذلك مع غاية الحيطة والحذر لا نسف أصوله وقواعده جملة وتفصيلا.

وفي ختام هذا المطاف؛ أشكر الله عز وجل على ما من ووفق وهدى، كما أحمده بجميع المحامد، أقصى ما يبلغه الحامد، على ما يسر من تذليل عقبات هذا البحث بضروب من لطفه سبحانه وتعالى.

قائمة المراجع:

- التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ت: علي دحروج، ترجمة إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1996م.
- عضد الدين الإيجي، المواقف في علم الكلام، بيروت، عالم الكتب، (د.ت.)
- سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، ت: عبد الرحمن عميرة، تصدير، صالح موسى شرف، ط2، بيروت، عالم الكتب، 1998م.
- سعيد فودة، بحوث في علم الكلام، ط1، عمان، الأردن، دار الرازي، 2004م.
- سعيد فودة، موقف الإمام الغزالي من علم الكلام، ط1، عمان، الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، 2009م.
- سعيد فودة، الكشف والبيان عن أغلاط أبي يعقوب المرزوقي في بعض قضايا الفكر الإسلامي، ط1، منشورات الأصلين، 2015م.
- منظم منتدى الرياحين، أجوبة الشيخ سعيد فودة على أسئلة طلاب منتدى الرياحين.
- سعيد فودة، نظرات في كتاب: نحو إعادة بناء علوم الأمة، ط1، منشورات الأصلين، 2013م.
- سعد فودة، موقف ابن رشد الفلسفي من علم الكلام، ط1، عمان، الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، 2009م.
- سعيد فودة، النقد والتقويم، ط1، عمان، الأردن، دار الرازي، 2004م.
- سعد فودة، الشرح الكبير على العقيدة الطحاوية، بيروت، دار الذخائر، د.ت.